ومن يقف وراءها.

لقد خرجت الفكرة الصهيونية من رحم الفكر الاستعماري الاوروبي في القرن الماضي متشربة رؤاه، متسلّحة بحرابه، مستغلة التأويلات التوراتية بما يتوافق مع أهدافها، وهو الأمر الذي وجد مناخاً ملائماً في الغرب بعد ظهور حركة الاصلاح الديني البروتستانتية، حيث تمّ التزاوج بين المصالح السياسية والتأويلات التوراتية عند الجانبين الغربي والصهيوني.

الزمت بريطانيا نفسها، في خلال الحرب العالمية الاولى، بثلاثة التزامات متناقضة: اتفاقية (حسين ـ مكماهون)، وتنكرت لمضمونها في ما بعد، واتفاقية (سايكس ـ بيكو) وقد راعتها الى حد ما، و«وعد بلفور» الذي التزمت بتنفيذ الجانب المتعلق «بالوطن القومي اليهودي»، من دون مراعاة الشق الثاني المتعلق بعرب فلسطين على الرغم، من احتجاجاتهم وانتفاضاتهم وثوراتهم التي قابلتها بالقمع والقسوة مفسحة في المجال للجانب الصهيوني لتكوين بنية دولة ضمن الدولة الانتدابية.

وخلال الحرب العالمية الثانية، أفادت الحركة الصهيونية من الاضطهاد النازي من نواح عدّة، ذلك انها كسبت العطف الاوروبي ـ الاميركي، ودفع هذا الاضطهاد عشرات الآلاف من اليهود للهجرة الى فلسطين، كما أتاح للوكالة اليهودية ان تنشىء قوة عسكرية مدرّبة ومنظّمة ومسلحة. لكن الامر الاهم هو تمكن الحركة الصهيونية من جذب الولايات المتحدة الاميركية الى جانبها، وحملها، بنجاح، لممارسة الضغوط على بريطانيا للاستجابة لمطالبها. وهذه الضغوط اجبرت بريطانيا على اشراك الولايات المتحدة الاميركية في القضية الفلسطينية، واجبرتها على الغاء الكتاب الابيض للعام ١٩٣٩، ومن ثم تدويل القضية باحالتها الى هيئة الامم المتحدة التي اصدرت جمعيتها العامة، بالضغوط الاميركية، قرار التقسيم في ١٩٤٧/١١/٢٩، والذي كان بنتيجته اندلاع المعارك في فلسطين، وممارسة المنظمات الارهابية الصهيونية المذابح الجماعية، كما حدث في دير ياسين وسواها، لحمل عرب فلسطين على الهرب والاستيلاء على اراضيهم ومنازلهم واحلال مهاجرين يهود مكانهم.

وعقب نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين في ١٩٤٨/٥/١٥، تمّ استيلاء اسرائيل على المزيد من الأراضي الفلسطينية، غير المخصصة لليهود في مشروع التقسيم، وتمّ تشريد مئات الآلاف من سكان عرب فلسطين، كما تمّ ازالة معالم اكثر من خمسمئة وخمسين قرية عربية. وعلى الرغم من قبول عضوية اسرائيل في الامم المتحدة المشروط بتنفيذ القرارين ١٨١ و١٩٤ المتعلقين بالتقسيم والسماح بعودة اللاجئين والتعويض لغير الراغبين بالعودة، فانها سنّت قوانين اباحت لنفسها فيها مصادرة أراضي المشردين، ومصادرة أراض كثيرة من الاقلية العربية المتبقية في فلسطين، التي اخضعتها للحكم العسكري، ومارست عليها المضايقات السياسية والاقتصادية والتربوية باستمرار، ورفضت، على الدوام، عودة اللاجئين.

وتأكيداً لطبيعتها التوسّعية واستراتيجيتها القائمة على الحروب الوقائية، شنّت اسرائيل سلسلة من الحروب تمكّنت في حرب العام ١٩٦٧ من الاستيلاء على كامل التراب الفلسطيني، وتشريد المزيد من عرب فلسطين والاستيلاء على ممتلكاتهم وزرع المستوطنين اليهود فيها.

أدّى الاحباط الذي انتاب الفلسطينيين من جرّاء الممارسات الاسرائيلية، ومن جرّاء اللامبالاة الرسمية العربية، ومن خيبة الامل بالامم المتحدة الى الاعتماد على أنفسهم لاسترداد حقهم السليب. ونجم عن ذلك ولادة الثورة الفلسطينية التي مكّنتها هزيمة الأنظمة العربية في حرب العام ١٩٦٧ من الوقوف على قدميها، والتي أعطاها الصمود البطولي في معركة «الكرامة» ثقة بالنفس وايماناً بالكفاح لانتزاع الحق السليب، فرسّخت بذلك الهوية الفلسطينية العربية التي حاولت اسرائيل طمسها على الدوام، بحيث لم تعد القضية الفلسطينية قضية لاجئين، بل قضية شعب يسعى لنيل حقه المهضوم الذي طالما تجاهلته اسرائيل وتعمدت طمسه، ومضت قدماً في تهويد الارض فجوبهت بالتحدي في الثلاثين من آذار (مارس) ١٩٧٦ بانتفاضة يوم الارض، وجوبهت بالتحدّي الآخر في ١٩٨٧/١٢/٨ (ولادة الانتفاضة) الذي لا يزال مستمراً على الرغم من العسف الاسرائيلي في